International Academic
Journal for Arabic
Language and Literature
1(2)(2019)57-70

المجلة الأكاديمية العالمية
للغة العربية وآدابها
١(٢)(٢٠١٩) ٥٧-٧٠

الرايه الدولية الالكترونية
INTERNATIONAL ELECTRONIC ALRRAYIH

العوامل الحجاجية في آيات الأعراف والتقاليد

الأستاذ الدكتور
عبد علي حسن ناعور
جامعة الكوفة / كلية الآداب

المدرس المساعد
رشا حسين عبد
جامعة الكوفة / كلية الآداب

الملخص

الحجاج اللغوي نظرية لسانية حديثة تتكون من ركنين أساسيين هما الحجة والنتيجة اللذين تحكمها مبادئ وقواعد تجعل من ملفوظ ما يُقدم على أنه حجة تقتضي هذه النتيجة دون سواها ، و لا يتأتى ذلك إلا من خلال الوجهة الحجاجية . وهذه الأخيرة يسفر عنها الصرفم اللساني الموسوم بالعامل الحجاجي وهو أحد الوسائل اللغوية التي ينبني عليها الخطاب في أثناء التخاطب. إذ أنه عماد عملية التواصل ، هدفه تحقيق الاقناع في هذه العملية التواصلية؛ لما له من أهمية في فهم الخطاب ، فهو أحد المكونات اللغوية التي تؤكد حجاجية الملفوظ وتساعد على اكتشاف وجهته الحجاجية ، ومن ثمَّ تقيّد الامكانات الحجاجية لبنية الخطاب الحجاجي وتوجهه بحسب ما يريده المتلفظ نحو نتيجة واحدة لا غير. وعليه لا يضيع السامع بين المفاهيم والتأويلات ، التي تجعل تأويله يأخذ وجهة غير التي يقصدها المتكلم ؛ مما يؤدي إلى عدم ضمان تسليم المتلقي وإقناعه. فالعامل الحجاجي يخدم الخطاب القرآني وهدفه السامي؛ وهو تغيير وضع قائم على أعراف وتقاليد أغلبها جائرة تسودها العصبية القبلية.

الكلمات المفاتيح:عامل، حجاج، عرف، تقليد .

Abstract

Linguistic argument are a modern linguistic theory consisting of two basic pillars, the argument and the result, which are governed by principles and rules that make the

utterance of what is presented as an argument requiring this result only. The latter results in linguistic morphology marked by the pilgrim factor, which is one of the linguistic means on which the discourse is built during the speech. The argumentative factor is the mainstay of communication. It aims to achieve persuasion in a communication due to the significant role it has in understanding the speech. Argumentation is one of the linguistic elements which emphasis on the argumentative word and helps to figure out its argumentative goal. Then, it subjects the argumentative facilities of the argumentative speech and directs it , according to the need of the speaker, at one result only Consequently, the listener is not lost between the concepts and the interpretations, which make his interpretation take a point other than the intended speaker; which leads to the failure to ensure the delivery of the recipient and persuade him. The pilgrim factor serves the Qur'anic discourse and its lofty goal; it is a change of status based on customs and traditions, most of which are unfair dominated by tribal nervousness All of this, serves the Quranic speech and its noble aim, that is, changing the life which is based on norms and traditions, most of them are unfair and tribalism.

Key words: factor, argument, norms, tradition

توطئـــة

إن العلاقة بين الحجة والنتيجة تحكمها قواعد ومبادئ مما يجعل ملفوظاً ما يقدم على أنه حجة يفرض هذه النتيجة دون غيرها، وهذا الملفوظ لا يصلح أن يكون حجة لهذه النتيجة في أي سياق أو مقام ، أو في أي وقت إلا من خلال الوجهة الحجاجية المسجلة فيه. [1]

ومؤدى هذه الوجهة هو المكونات اللغوية المختلفة للجملة في مقام الاستعمال التي تحدد معناها وتضيق او توسع من احتمالاتها الحجاجية ، فهذه المكونات هي التي تحدد طرق الربط بين الحجة والنتيجة. [1]

---

[1] الحجاج في اللغة ضمن كتاب اهم نظريات الحجاج ، لشكري المبخوت : ٣٧٥ .

فالمتلفظ حين يوجه ملفوظه توجيهاً حجاجياً ، وذلك عبر وسم هذا الملفوظ وسماً حجاجياً من خلال تضمينه مجموعة من العلاقات والارشادات التي تحدد كيف ينبغي تأويله ، وتعد العوامل والروابط أهم المكونات اللغوية والمواضع التي ينعكس فيها هذا التوجه الحجاجي. [٢]

وتعد العوامل الحجاجية المكون اللغوي الثاني في الحجاج اللغوي ، وهي عماد عملية التواصل ، أي تمثل محركاً رئيساً من المحركات التي تقوم عليها عملية التخاطب. [٣]

إلا أنه يتميز عن المكون اللغوي الأول – الروابط الحجاجية – بأنه موجود داخل الملفوظ الواحد من العناصر الداخلة على الاسناد مثل الحصر والنفي ، أو العناصر المعجمية التي تحيل احالة غير مباشرة في اغلب الاحيان ، مثل (منذ) الظرفية و(تقريباً) و (على الاقل) . [٤]

فضلاً عن ذلك فهو موصل قضوي يربط وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه ، ومن ثمّ يحمل على المكونات داخل الفعل اللغوي فيبقى هذا الفعل ملتحماً. [٥]

ولمزيه هذه العوامل في إظهارها حجاجية الملفوظ وذلك بتقوية التوجيه الحجاجي.[٦] ولأنها من المكونات اللغوية التي تساعد في نسق الخطاب وانسجامه ، وتوجيه الملتقي إلى الوجهة التي يريدها المتلفظ مما حدى بديكرو أن يفرد لها اهتماماً ويجعلها مع الوجهة الجحاجية متضارعان كأنهما شيء واحد فمتى ما ذكرت الوجهة الحجاجية ذكر العامل وعليه كتب ديكرو مقالاً عن مفهوم العامل الحجاجي لأول مرة ونشره عام ١٩٨٢م ، ثم فصّل القوم فيه تنظيراً في مقال نشره عام ١٩٨٣م. [٧]

فالعامل الحجاجي ((هو صريفة (مورفيم) ، إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين ، يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ)). [٨]

ولبيان ذلك بشكل جليّ ، نورد المثالين الآتيين :

– إنها الثامنة مساءً . م١

– إنها مجرد الثامنة مساءً . م٢

---

[١] المصدر نفسه : ٣٧٦ .
[٢] الحجاجيات اللسانية عند انسكومبروديكرو ، بحث منشور ، مج ، ع١ : ٣٣٤ .
[٣] ظ : العوامل الحجاجية في العربية : ١٦ – ١٧ .
[٤] ظ : الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت : ٣٣٧ .
[٥] ظ : الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو : ٢٣٤ .
[٦] ظ : م . ن ، ٢٣٤ .
[٧] اللغة والحجاج : ٢٨ .
[٨](٩) الحجاجيات اللسانية عند انسكوبر وديكرو : ٢٣٤ .

فالملفوظ (م١) يخلو من أي عامل حجاجي ، في حين يتضمن الملفوظ (م٢) عاملاً حجاجياً هو ((مجرد)) ، ولم يحدث اختلاف بين الملفوظين من ناحية القيمة الخبرية ، بل أدى وجود هذا العامل إلى تغيير في الطاقة الحاجية لهذا الملفوظ. [١]

وإذا أنعمنا النظر في الملفوظ (م١) فسنجد له امكانات حجاجية كثيرة ، فقد يؤدي هذا الملفوظ نتائج عدة من قبيل : الدعوة إلى الإسراع ، التأخر والاستبطاء ، هناك متسع من الوقت ، موعد الاخبار وغيره من النتائج. لكن عندما ندخل العامل الحجاجي ألا وهو ((مجرد)) فإن إمكاناته الحجاجية تقلصت وأصبحت تشير إلى نتيجة واحدة دون سواها. [٢]

((ولعل النجاعة التي يحققها... تكمن في اطار ملحته على جواب واحد ، وهو ما يقيدهُ ويحصره ويقاربه الى المتلقي وبهذا يحيط العامل بالحجة ، ويرفع من فاعليتها الحجاجية ، ... لما لها من دور فعال في إبقاء بنية الجملة دون انفراط)). [٣]

فقيمة هذه العوامل تكمن في تعزيز الخطاب وتحديده وتوجيهه إلى نتيجة محددة دون سواها. فهي ((عناصر لغوية تنظمها غاية واحدة ، وهي تحقيق الخطاب للأقناع في عملية التواصل)). [٤]

فوظيفتها تكمن في ((تحديد التوجيه الحجاجي للجملة [الملفوظ] ، وذلك بانتقائها صيغاً محورية ملائمة للسلسلة الحجاجية)).[٥]

ومؤدى ذلك أن توجه الامكانات الحجاجية وتحولها لبنية الخطاب وتقييدها بحسب ما يريده المتلفظ لهذا الخطاب مرتبط بالعامل الحجاجي الذي يرتبط بموضوع واحد ونتيجة واحدة لا غير. [٦]

وهذا بدوره يخدم غاية الخطاب القرآني وهدفه السامي ، وهو تغيير وضع قائم على أعراف وتقاليد ومعتقدات أغلبها جائرة ، فضلاً عن انتشارها ورسوخها في مجتمع تسوده العصبية القبلية وقانون البقاء للأقوى ، وإحلال العدل والمساواة والتفاوت القائم على التقوى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. [٧]

---

[١] ينظر : آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب ، عبد الجليل العشراوي : ١٥٣ ، والحجاجيات اللسانية عند انسكوبر وديكرو : ٢٣٥ .
[٢] ينظر : اللغة والحجاج : ٢٩ .
[٣] اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي : ١٠٢ .
[٤] العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٢١ .
[٥] البعد التداولي في الحجاج اللساني : بنعيسى ، ٢٥٤/٢ .
[٦] ينظر : البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه الى بني إسرائيل : ٤٣ – ٤٤ .
[٧] الحجرات : الآية ١٣ .

وامتدت سلطة هذه الاعراف والعادات لتطال اللغة وتحدد معايير استعمالها ؛ وكان الفرد خاضعاً لهذه المعايير ، فسادت هذه المعايير ، وانتجت اصحاب لغة فصحاء بلغاء ذا سليقة فطرية ، مما حرى أن تكون محاججتهم ومجاراتهم بلغتهم ، لأنها كانت فاعلة وقادرة ((لتغيير هذه المعتقدات ونظامها وكانت العوامل الحجاجية من المعالم البارزة ... لبسط قضية في إطار الدفاع عنها والإيحاء أو الدعوة للاعتقاد بها من خلال تقييدها وعدم تشعبها)).[١] ومن العوامل الحجاجية التي سنعمد لدراستها ((إنما ، والاستثناء والنفي)).

أولاً

حجاجية العامل (إنمــا)

هي إحدى العوامل الحجاجية التي تضمن للملفوظ سلامته من اللحن الحجاجي ، وعملية التوجيه التي لا تتم من دون هذه العوامل.[٢] فله دور فاعل في اثبات شيء ما.

وقد اختلف الباحثون في المعاني التي تفيدها ((إنما)) ، فذهب بعضهم إلى أنها تفيد معنى القلب أو العكس أو الخلاف إذ ((دخول لفظة ((إنما)) يعلم أن ما عداه بخلافه)). [٣]

لكن هناك من يرى أن لـ ((إنما)) مفهومًا آخر غير هذا المفهوم والذي يدّعي أن دخول (إنما) في السياق ليخاطب بها مخاطباً مصراً على الخطأ – رأيه : أو قد تأتي في سياق يكون فيه المخاطب لا يجهل الخبر ولا يدفع صحته أو لما ينزل منزلته وإنما يقرّ به أحياناً ولكن ترد (إنما) للتنبيه والتأكيد للذي يجب عليه من الفعل. [٤]

فهي اذن ترد لأثارة مفهوم آخر غير العكس أو الخلاف. وعليه فـ (إنما) تأتي في سياق يكون فيه المتلقي مصراً على خطأه / قراره ، أو يجهل هذا الخطأ ، ومرة تأتي في سياق يكون فيه المتلقي عالما بالأمر لكن للتنبيه والتأكيد عليه.

فضلاً عن ذلك كله يذهب عز الدين الناجح الى ربط ((إنما)) بالمقام ؛ لما له من مزيه بإتمام لبنة المعنى. والعامل اللساني (إنما) يكون في الخطاب دليلاً على مقامات عديدة مختلفة ولا يكون الفصل إلا عبر المقام المحدود الذي لا يؤيّده إلا الموضع للوصول إلى النتيجة المتوخاة من وجهة المتكلم / المتلفظ.

---

[١] اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي : ١٠٣ .
[٢] ظ : تداولية الضمني والحجاج ، عز الدين الناجح : ٢٧ .
[٣] البحث النحوي عند الاصوليين ، مصطفى جمال الدين : ٢٨٧ .
[٤] ظ : دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٢٧٨ – ٢٨٠ .

فالموضع هو الوتد الذي يشد الملفوظ إلى مرجعية لها سلطة دامغة تجعل المتلقي يذعن ويسلم لما يراد منه. [١]

بمعنى ان لـ (إنما) خصوصية عن بقية الصرافم اللسانية اللغوية الخاصة بالعوامل الحجاجية فهي مع وظيفتها في تضييق الاحتمالات للنتيجة المرادة إلا أنها في بعض الاحيان تخرج عن ذلك وتوحي بتعدد النتائج والاستلزامات؛ لارتباطها بالمقام الذي ترد فيه ، وهنا يأتي دور الموضع * الذي يحد من هذه الاشكالية ، من خلال بقاء ((إنما)) في الحفاظ على وضيفتها بوصفها عاملاً حجاجيًا يفضي بالملفوظ إلى نتيجة واحدة لا غير.

ملفوظ ـــــ العامل(إنما)ـــــ مقام ـــــ تعدد النتائج ـــــ موضع ـــــ نتيجة واحدة لاغير

ملفوظ ← عامل (إنما) مقام ← تعدد النتائج ← موضوع ← نتيجة ؛ وعليه فإن ((إنما)) صرفم يوجه الملفوظ نحو نتيجة واحدة بحسب المقام الذي ترد فيه ، ويشد ويعضد هذه النتيجة الموضع الذي هو بمثابة القاسم المشترك للعادات والتقاليد و الثقافية بين أفراد المجتمع الواحد.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ...﴾. [٢]

يلحظ أن الخطاب عام ثم انتقل أنتقل إلى الخاص ؛ إذ بدأ بقوله ((يا أيها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقكم ...)) ثم انتقل إلى التخصيص بقوله ((انما حرم عليكم ..)) وهذا الانتقال من العام الى الخاص بحد ذاته آلية حجاجية ناجعة ؛ لأن الحركة من العام إلى الخاص بمعنى التبرير لما أجمل في أول الملفوظ وتقرير في ما يليه.[٣]

وهنا استرسال في الملفوظات التي تربطها دلالة واحدة وهي بيان المحرم من الاطعمة.

والذي حدد هذا الانتقال هو العامل الحجاجي (إنما) الذي يقيد التخصيص وايجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره. فبدخولها وجهت الملفوظ نحو نتيجة معينة ، وخصصته له دون سواه ، وهي أن المحرمات تنحصر في هذه الاشياء دون غيرها بعد ان شكك المخالفون ذلك.

وهذا ما يروم اليه المتلفظ من ايصاله للمتلقي ، الذي يتوهم أن هذه المأكولات مما حللها الله (عزل وجل) فجاء الرد بدفع الشك والتنبيه ورفع الشبهة في أن المحرم هذه فقط. والدليل ما ورد في مقدمة الآية (يا أيها الذين امنوا ..) فهو

---

[١] ظ : العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ٩١ .

* المواضع : هو مبدأ حجاجي عام من المبادئ التي يستعملها المتخاطبون ضمناً للحمل على قبول نتيجة واحدة. اي انه فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع وعليه يرتكز الاستدلال في اللغة ، فهو كالمصفاة التي تغربل النتائج وينتهي بنتيجة واحدة لا غير. ينظر : الحجاج في اللغة : ٣٨٠ ؛ العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٩٢ .

[٢] سورة البقرة : الآية ١٧٢ ــ ١٧٣ .

[٣] ظ : تداولية الضمني والحجاج : ٢٨ .

خطاب موجه للمؤمنين الذين ترسخ الايمان والعقيدة في قلوبهم ، فهم ليسوا منكرين. هذا من جهة، ومن جهة اخرى قد ورد التحريم في سورة الانعام.[١] وهي مكية نزلت قبل سورة البقرة فلا غبار عليه من أن المتلقي قد كان على علم بهذه المحرمات.

والذي يحدد وظيفة العامل الحجاجي (إنما) هو السياق والمقام. فعملا على توجيه المتلقي نحو النتيجة المرجوة من هذا الخطاب ألا وهي التنبيه والتأكيد على حرمة هذه الاطعمة دون غيرها. فلا تستقيم الدلالة الحجاجية في هذه الآية وما يضارعها إلا بالحصر بالأداة (إنما) وباختيار معنى من معانيها دون سواه.

وقد بسط هذا العامل الحجاجي نفوذه على توجيه الخطاب للنتيجة التي يروم اليها المتكلم / المتلفظ ، ومع ذلك فقد ساند هذا العامل للوصول الى هذه النتيجة وسد كل منافذ الشك لدى المتلقي (الزمن) المتمثل في الفعل (حرّم) الذي لا يمكن اجحاف حقه وتجاوزه فقد ادّى دور الاستمرارية لتهذيب هذا العرف السائد ألا وهو تحريم الاطعمة المذكورة في الآية.

فالملفوظ (حرّم) ورد في زمن المضي بعد عامل القصر(انما)؛ لأنه ((ذا وظيفة تلبس الحدث لبوس العمومية .. كونه زمانا عاماً يستغرق ما مضى وما يكون وما سيكون)). [٢]

وهذا يتوافق مع غاية المتكلم من تحريم الأطعمة التي هي بمنزلة القانون العام ، والمبدأ القار الذي يجب الالتزام بها.

ثانيـاً

حجاجية عامل الاستثناء المنفي (الاستثناء المفرغ)

يعد النفي والاستثناء – المفرغ حصراً – أحد انواع القصر التي تحصر وتخصص الملفوظ بصاحبه من دون سواه ، فهي من الصرافم اللسانية التي يتحقق بها العاملية الحجايجة ؛ اذ يحصر فعالية الحجاج في وجهة حجاجية واحدة ؛ لأنه يضيف إلى الخطاب عامة والملفوظ خاصة قوة حجاجية تزيد من طاقته التوجيهية نحو النتيجة. [٣]

لذا يوظف هذا العامل في الأمر الذي ينكره المخاطب ويشك فيه ويتوهم بصحته. [٤] فهو ((يضيّق المحتوى ويكثّفه ويؤدي إلى الإسراع بالنتيجة)). [٥]

---

[١] سورة الانعام : الآية ١٧٦ .
[٢] تداولية الضمني والحجاج : ٤٧ .
[٣] ظ : الحجاج في المثل السائر : ٤٤ .
[٤] ظ : دلائل الاعجاز : ٣١٣ .
[٥] التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه : ٦٥ .

وهذا العامل الحجاجي وما يحيط به من ظرف اجتماعي أو نفسي له أثر كبير في استعماله؛ لأنه يستعمل عندما تتعدد الآراء والاختلاف فيها وهذا ما نلحظه في الأنموذج الآتي :-

قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾. [1]

تهدف هذه الآية إلى تصحيح تقليد عبادي جاهلي زائف وقع فيه اللبس وهو ((المكاء والتصدية)) إذ كانت العرب قديماً قبل الاسلام على جهة التقرب للآلهة ، يطوفون عراة ويصفقون ويصفرون ولم يتركوا هذه العادة حتى بعد مجيء الاسلام بل كانوا إذا قرأ الرسول (صلى الله عليه وآله) في صلاته يستهزئون ويخلطون عليه بالتصفير والتصفيق ، وادعائهم أنهم يصلون ويعبدون الله بهذا الصنيع فهي في مقام الصلاة والدعاء والتسبيح. [2]

ولدحض هذا الادعاء ولدفع الانكار والشك وظّف هذا العامل الحجاجي ليقوم بهذه المهمة.

جاءت هذه الآية وكأنها جواب عن استفهام أو سؤال مضمر ، فعندما ادّعوا أنهم أولياء الله في الآية السابقة **﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ...﴾.** [3]

نفى عنهم الولاية التي ادّعوها لنفسهم وأن سمة الولاية تكون للمتقين الذين يقيمون الصلاة ويحرمون حرمته ويؤدون فرائضه واجتناب معاصيه. [4]

فكأنهم قالوا معترضين : كيف لا نكون أولياءه ونحن نقوم بتأدية الفرائض عند البيت؟

فجيء بالعامل كي يقطع السبيل أمام كل هذه الادعاءات والاختلافات وحدد المعنى المتوخى تحديداً كاملاً.

اذ حصر العامل دلالة هذا الملفوظ (الصلاة) التي يدّعونها بأنها من قبيل المكاء والتصدية التي هي بعيدة كل البعد عن العبادة التي فرضها الله على عباده.

بهذا أخرج العامل الملفوظ من صفته الإخبارية إلى صفته الحجاجية ، فوجهه بنحو مفهوم ونتيجة واحدة وأبعد عنه كل الاستلزامات التي تؤدي إلى تعدد النتائج ، فرفع الغموض من أذهانهم وعقولهم وسد كل السبل أمامهم ولا مناص لهم سوى القبول بهذه النتيجة وهي (تركهم العادة وعدم الرجوع إليها) فضلاً عن ذلك فالدلالة الحجاجية تكمن في قصر الصلاة على المكاء والتهديد وليس العكس ، فلم يرد ((ما كان مكاءهم وتصديتهم الا صلاة)) ؛ لأنه يمكن أن تكون هناك ممارسات أو كيفيات أخرى للصلاة عند العرب قبل الإسلام ، فكان المقام هو السلطان الحاكم

---

[1] سورة الانفال : الآية ٣٥ .
[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية : ٢٤/٢ ؛ جامع البيان في تأويل القران ، ٥٢٣/١٣ ؛ الجامع لأحكام القران ، القرطبي : ٤٠٠/٧ ؛ الميزان : ٨٥/٩ ؛ التبيان ، للطوسي : ١١٦/٥-١١٧ .
[3] سورة الانفال : الآية ٣٤ .
[4] جامع بيان في تأويل القران ، الطبري : ٥٢٠/١٣ .

هنا فكان الملفوظ ((ما كان صلاتهم ...)) هو الأنسب لردع تقليد ظل سائداً حتى مجيء الإسلام. فضلا عن مراعاة المتلقي ، فالخطاب موجه لجمهور كوني ذي مسالك متنوعة وعادات متعددة.

فجاء هذا القصر بهذا العامل في محله لبلوغ الغاية التي يروم إليها المتلفظ في هذا السياق المقامي والخطاب الحجاجي والله اعلم.

ثالثـاً

حجاجية عامل النفي

تتجاذب النفي اختصاصات عدة : النحو والبلاغة والمنطق والتداولية ، وكل عالجه بحسب ما يخدم تخصصه والذي يعنينا هنا ما ذهب إليه التداوليون ، الذين درسوه ((من جهة الأعمال اللغوية التي ينتجها في وضعيات تخاطبية معينة باعتبارها معاني ثانوية)). [١]

لذا اقرّ أحد الباحثين أن النفي يكون على مرحلتين الأولى ردّ الكلام أي ترديده بكل ما يقتضيه ذلك من بنية شكلية للجملة المثبتة تحمل قيوداً ، أما المرحلة الثانية فهي نفي الجملة المثبتة ، أي تسلط قيد النفي على بنية الجملة الموجبة. [٢]

وبذلك يجب ان يدخل النفي على موضوع قد أُقرّ بأثباته وموجبه حتى يصح دخوله عليه.

وهذا عينه ما أشار إليه تشومسكي من أن النفي لا يدخل على التركيب إلا بعد تولد الجملة النواة في البنية العميقة تولداً في صيغة إثبات ثم يطرأ النفي في البنية السطحية بعد انطباق التحولات. [٣] فالنفي يقوم على ضربٍ من العلاقة بين ملفوظ مصرح بنفيه وملفوظ مثبت ضمناً. [٤]

وهو – النفي– بوصفه عاملا حجاجيا يدخل في جهاز عرفاني معقد نواته الصلبة هو الملفوظ بدرجاته وأصنافه ، يستدعي المغيّب وغير المشترك فيه أي المنفي. [٥]

ومن ثمّ فهو عامل حجاجي يحقق به المتلفظ وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ الى النتيجة. [٦]

---

[١] تداولية الضمني والحجاج : ٤٥ .
[٢] ظ : عمل النفي وخصائصه الدلالية ، شكري المبخوت : ٥٠ .
[٣] ظ : مدخل الى النحو العرفاني ، بن غريبة : ١٧ .
[٤] ظ : عمل النفي وخصائصه الدلالية : ٣٦٦ .
[٥] ظ : تداولية الضمني والحجاج : ٤٤ .
[٦] عمل النفي وخصائص الدلالية : ٤٧ .

ويحمل عامل النفي معاني عدة بغض النظر عن تقسيماته* اذ يأتي للإكذاب والتكذيب أي رداً على الرأي المعاكس. وهو صلب عملية التوجيه الذي صاغه المتلفظ صياغة إثباتية .

أو يأتي نفياً مقيداً والمراد نفيه مطلقاً للمبالغة في النفي وتأكيدهُ ورد الخصم وتبكيته. غير أنه قد ينشأ عنه معنى مخالفة وذلك المعنى الذي تؤدي إليه بنية المنفي المقيد بصفة أو ما في معناه. (١)

ومن الآيات التي ورد فيها هذا العامل نورد الأنموذج الآتي:

قال تعالى : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (٢)

من الأعراف الجاهلية ما كان يفعله العرب عند الإحرام ، إذ كانوا إذا أحرموا للحج لم يدخلوا بيوتهم عند الحاجة بل يتخذون ثقباً من ظهورها ويدخلوا منه. (٣)

فجاء الردع لهذه العادة السيئة وابطالها – هي تعبد ببدعة – بدخول عامل النفي الحجاجي ((ليس البر بان تأتوا البيوت ...)).

وبما أن الوظيفة الأساس للنفي هو إثبات قول / ملفوظ صريح أو ضمني / وهذه الآية فيها مقتضى ضمني هو (البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها).

وهو الاعتقاد السائد في الواقع ، ثم جاءت الآية لتبطل وتكذب هذا الاعتقاد بعامل النفي الحجاجي ((ليس البر بان تأتوا ...)) ، فغيّر النتيجة ووجّه الملفوظ نحو الوجهة التي يريدها المتلفظ وهي عكس رأي المتلقي.

الملفوظ / الحجة ((ضمناً)) اثبات حكم عادة يؤمن بها المتلقي (اتوا البيوت من ظهورها)

عامل النفي ← ليس

الملفوظ (الحجة ظاهراً) ابطال الملفوظ الضمني ونفي الاثبات. وما بعد الاستدراك بمنزلة الجواب ((لكن البر من اتقى واتو البيوت من ابوابها)) فهو توجيه المتلقي إلى محل التقوى ، ولما كانت التقوى هي البر ساق القران الكريم حجة ونتيجة لها.

فالحجة هي (اتوا الله) ، والنتيجة (لعلكم تفلحون).

---

* قسم المبخوت النفي على ثلاثة اقسام مستنداً الى تقسيم ديكرو وهي نفي وصفي ونفي ميتالغوي ونفي جدالي. العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٥١ .

(١) العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٥٢-٥٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩٧/٢ ، الميزان : ٣٢/٢ .

علماً بأن قوله (لكن البر من اتقى) يمكن عده حجة نتيجتها ((الأمر بتقوى الله)).

فلم يكتف الخطاب القرآني بالنفي بل اتبعه بالجواب والبديل لترك هذا التصور الخاطئ الذي يعتقده المتلقي ؛ لأن النفي ((يحتاج إلى تعليل أكثر من حاجة الاسناد إليه فالسؤال الذي يعقب به على النفي إن لم يسارع المتكلم النافي إلى تعليل نفيه ؛ فهو قرينه على المخالفة وطلب للانتقال من إبهام النفي إلى تفسيره ؛ بما يجعل في اعتقاد المتكلم النافي مضموناً ايجابياً)). [١]

فموقف المتلفظ / المتكلم برز في الجواب ؛ لشدة اتصال جملة النفي بمقتضاها الاثباتي من جهة وبما يستلزمه من جوابها من جهة اخرى. [٢]

فقوله تعالى : **﴿لكن البر من اتقى﴾**. وجه المتلقي نحو الغاية المتوخاة ، اذ دل هذا الصرفم اللساني (لكن) على مساندة الحجة السابقة (النفي) وليس معارضتها في هذا السياق.

فجعل الملفوظين يتساندان ويتجهان نحو تعزيز نتيجة واحدة لا غير مما أدى إلى توليد طاقة حجاجية إضافية في هذا الخطاب الحجاجي.

ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ← لكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها

(اثبات نفي الضمني) (تأكيد نفي الضمني)

فالحجة الأولى هي نفي البر من اتيان البيوت من ظهورها ، والحجة الأخرى التي تؤكد الحجة الأولى وتساندها ((ولكن البر من ....)) فبهذه الحجة أكد وعزز وكثف نفي هذه العادة ونبذها فهي ليس من تقاليد الحج وأحكامه. إنما البر هو اتقاء الله بأتباع تعاليمه الصادرة منه لا غير.

وأمرهم بإتيان البيوت من أبوابها ، وجيء بالأمر هنا للإرشاد للطريق السليم [٣] بحجة أخرى ((آتو البيوت من أبوابها)).

---

[١] عمل النفي وخصائصه الدلالية : ١٩٦ .
[٢] ظ : المصدر نفسه : ٤٢٣ .
[٣] ظ : الميزان : ٣٢/٢

وعليه فبهذه الحجج المتتالية وما دخل عليها من صرافم لسانية، ولا سيما عامل النفي وجّه المتلقي نحو التسليم والاقرار والعمل بما يطلب منه ، فالنفي وجوابه سد كل المنافذ أمام أسئلة أو تردد المتلقي.[1]

الخاتمة

١. الحجاج اللغوي حجاج قائم على التوجيه ، وعماد هذا التوجيه هو العامل الحجاجي الذي متى ما ورد في ملفوظ ما أدّى إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ.

٢. يتميز العامل الحجاجي بتقييد الأمكانات الحجاجية ، ويوجّه المتلقي إلى النتيجة المقصودة ويجعله مسلما بما يقدّمه المتكلم. ممّا يؤثر في قلب اعتقاد المتلقي بعرف ما أو تقليد سائد.

٣. ورد في آيات الأعراف والتقاليد عامل القصر بنوعيه(إنما، الاستثناء المنفي) لما يتسمان به من حصر الملفوظ وقصره على نتيجة واحدة وتوجيه المتلقي نحو هذه النتيجة فضلا عما يضيفاه من قوة حجاجية للملفوظ، ومن ثمّ إلزام المتلقي بالعمل بهذه النتيجة.

٤. رصد البحث سمة للعامل الحجاجي (إنما) تميزه عن بقية العوامل الحجاجية ، فهو مع وظيفته في حصر الاحتمالات للنتيجة إلا أنه قد يخرج عن ذلك في بعض السياقات مما يؤدي الى تعدد النتائج في السياق نفسه، وللحد من هذه الإشكالية في التعدد ارتبط بمفهوم الموضع الذي يحافظ على وظيفة هذا المكون اللغوي بوصفه عاملا حجاجيا يفضي إلى نتيجة واحدة لا غير.

٥. أما عامل النفي فكان له دور فعال أيضا في تعديل فكر المتلقي ومعتقده بوصفه عاملا حجاجيا يحقق به المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية وهو من صلب عملية التوجيه الذي صاغها المتكلم صياغة اثباتية.

٦. رصد البحث وجود نمط سائد في خطاب آيات الأعراف والتقاليد؛ إذ يورد المتكلم العامل الحجاجي ثم يتبعه بمكونات لغوية هي بمثابة حجج تساند النتيجة نفسها للتأكيد على إلزام المتلقي بإنجاز هذه النتيجة .

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، د.عبد الجليل العشراوي،عالم الكتب الحديث ،ط١، ٢٠١٦م.

٣. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية،د. مثنى كاظم صادق، دار ومكتبة عدنان– بغداد، ط١، ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م.

٤. اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمّادي صمّود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د(ت).

٥. البحث النحوي عند الأُصوليين، د.مصطفى جمال الدّين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٦. البعد التداولي في الحجاج اللساني بنعيسى أزاييط ،ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج 1 ،حافظ اسماعيل علوي وآخرون، ط١،عالم الكتب الحديث، أربد، الاردن ٢٠١٠م .

٧. البعد التداولي في الخطاب القرأني الموجه الى بني إسرائيل ، د . قدور عمران ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد ، الأردن ، ٢٠١٢م٠

٨. التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسي(٤٦٠هـ)، تحقيق:أحمد حبيب العاملي،مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي،ملاحظات دار احياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.

٩. التحاجج طبيعته ومجالاته، وظائفه وضوابطه، تنسيق حمّو النقاري، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط،مطبعة النجاح الجديدة– الدار البيضاء،ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

١٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، د.ط ، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١١. تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب :بحوث ومحاولات، عز الدين الناجح، تقديم: المنصف عاشور، مركز النشر الجامعي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، ٢٠١٥

١٢. الجامع لأحكام القران ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي(٧٦١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة،ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٣. جامع البيان عن تأويل مشكل القران ، الطبري ، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق : د. عبد الله بن المحسن الزكي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، بدار هجر الدكتور حسن يمامة ، ط١ ، دار هجر للطباعة والنشر

١٤. الحجاج في المثل السائر ، رسالة ماجستير نعيمة يعمرانن، الجمهورية الجزائرية، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية، ٣/٤/ ٢٠١٢

١٥. الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر و ديكرو،لرشيد الراضي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج٣٤، ع١ ، دولة الكويت.

١٦. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدَّة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٧. عمل النَّفْي وخصائصه الدلالية في العربية، رسالة دكتورا دولة مرقونة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، ٢٠٠١

١٨. اللغة والحجاج د. أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦م

١٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي(ت 541) الناشر دار ابن حزم(,د ت)

٢٠. مدخل إلى النحو العرفاني نظرية رونالد لانقاكر: عبد الجبار بن غريبة، مسكيلياني للنشر – منوبة ط١، ٢٠١٠م

٢١. الميزان العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت٨٣٩هـ)،تحقيق: الشيخ حسين الأعمى، مؤسسة الأعمي للمطبوعات ,بيروت لبنان ,ط1 ، ١٩٩٧ .